(٤٩)

باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠]

قال المصنف رحمه الله تعالى: (باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠]).

ش: قال الإمام أحمد رحمه الله في معنى هذه الآية: حدثنا عبد الصمد، حدثنا عمر بن إبراهيم، حدثنا قتادة، عن الحسن، عن سمرة عن النبي ﷺ قال: «لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال: سميه عبد الحارث فإنه يعيش، فسمته عبد الحارث فعاش. وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره»[(١)].

وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار بندار عن عبد الصمد بن عبد الوارث به.

ورواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن محمد ابن المثنى عن عبد الصمد به، وقال: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه.

ورواه الحاكم في مستدركه من حديث عبد الصمد مرفوعًا، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ورواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيره عن أبي زرعة الرازي عن هلال بن فياض عن عمر بن إبراهيم به مرفوعًا.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا سهيل بن يوسف عن عمرو عن الحسن ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ﴾ [الأعراف: ١٩٠] قال: كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم.

وحدثنا بشر بن معاذ قال: حدثني يزيد، حدثنا سعيد عن قتادة قال: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولادًا فهودوا ونصروا. وهذا إسناد صحيح عن الحسن رحمه الله.

قال العماد ابن كثير في تفسيره: وأما الآثار: فقال: محمد بن إسحاق عن داود بن

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأعراف، حديث (٣٠٧٧)، وأحمد في مسنده (٥/ ١١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩٤)، حديث (٤٠٠٣)، من طريق عمر بن إبراهيم عن قتادة عن الحسن عن سمرة مرفوعًا. وفي رواية عمر بن إبراهيم عن قتادة ضعف، والحسن مدلس وقد عنعنه. وانظر ضعيف الجامع (٤٧٦٩)، الضعيفة (٣٤٢).

الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: كانت حواء تلد لآدم عليه السلام أولادًا فتُعبِّدهم لله وتسميهم: عبد الله وعبيد الله ونحو ذلك، فيصيبهم الموت، فأتاهما إبليس فقال: أما إنكما لو تسميانه بغير الذي تسميانه به لعاش، فولدت له رجلاً فسماه عبد الحارث، ففيه أنزل الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [الأعراف: ١٨٩] إلى آخر الآية.

وقال العوفي عن ابن عباس: فأتاهما الشيطان فقال: هل تدريان ما يولد لكما؟ أم هل تدريان ما يكون، أبهيمة أم لا؟ وزين لهما الباطل، إنه لغوي مبين، وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا، فقال لهما الشيطان: إنكما إن لم تسمياه بي لم يخرج سويًّا، ومات كما مات الأول. فسميا ولدهما عبد الحارث، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠].

وذكر مثله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. ورواه ابن أبي حاتم.

وقد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس جماعة من أصحابه:

كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير.

ومن الطبقة الثانية: قتادة والسدى وجماعة من الخلف.

ومن المفسرين والمتأخرين جماعات لا يحصون كثرة.

قال العماد ابن كثير: وكأن أصله - والله أعلم - مأخوذ من أهل الكتاب.

قلت: وهذا بعيد جدًّا.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله: كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشى عبد المطلب).

ش: ابن حزم: هو عالم الأندلس، أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري. صاحب التصانيف، توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة. وله اثنتان وسبعون سنة.

وعبد المطلب هذا: هو جد رسول الله ﷺ. وهو ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وما فوق عدنان مختلف فيه. ولا ريب أنهم من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام.

حكى رحمه الله اتفاق العلماء على تحريم كل ما عُبِّد لغير الله؛ لأنه شرك في الربوبية

والإلهية؛ لأن الخلق كلهم ملك لله وعبيد له، استعبدهم لعبادته وحده، وتوحيده في ربوبيته وإلهيته، فمنهم من عبد الله ووحده في ربوبيته وإلهيته، ومنهم من أشرك به في إلهيته وأقر له بربوبيته وأسمائه وصفاته، وأحكامه القدرية جارية عليهم ولا بد، كما قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣] فهذه هي العبودية العامة. وأما العبودية الخاصة فإنها تختص بأهل الإخلاص والطاعة، كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦] ونحوها.

قوله: (حاشى عبد المطلب) هذا استثناء من العموم المستفاد من كل. وذلك أن تسميته بهذا الاسم لا محذور فيه؛ لأن أصله من عبودية الرق.

وذلك أن المطلب أخو هاشم قدم المدينة، وكان ابن أخيه شيبة هذا قد نشأ في أخواله بني النجار من الخزرج؛ لأن هاشمًا تزوج فيهم امرأة، فجاءت منه بهذا الابن، فلما شب في أخواله، وبلغ سن التمييز سافر به عمه المطلب إلى مكة بلد أبيه وعشيرته فقدم به مكة وهو رديفه، فرآه أهل مكة وقد تغير لونه بالسفر، فحسبوه عبدًا للمطلب، فقالوا: هذا عبد المطلب، فعلق به هذا الاسم وركبه، فصار لا يذكر ولا يدعى إلا به، فلم يبق للأصل معنى مقصود. وقد قال النبي ﷺ: **«أنا ابن عبد المطلب»** [(١)].

وقد صار معظمًا في قريش والعرب، فهو سيد قريش وأشرفهم في جاهليته، وهو الذي حفر زمزم وصارت له السقاية وفي ذريته من بعده.

وعبد الله: والد رسول الله ﷺ أحد بني عبد المطلب، **وتوفي في حياة أبيه**. قال الحافظ صلاح الدين العُلائي [(٢)] في كتاب الدرة السنية في مولد خير البرية: كان سن أبيه عبد الله حين حملت منه آمنة برسول الله ﷺ نحو ثمانية عشر عامًا، ثم ذهب إلى المدينة ليمتار منها تمرًا لأهله فمات بها عند أخواله بني عدي بن النجار، والنبي ﷺ حملٌ على الصحيح. انتهى.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: من قاد دابة غيره في الحرب، حديث (٢٨٦٤)، ومسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: في غزوة حنين، حديث (١٧٧٦).

(٢) هو: خليل بن كيكلدي بن عبد الله أبو سعيد العلائي، الدمشقي، محدث، فقيه شافعي، أصولي، ولد بدمشق، ووعى بدمشق تدريس الحديث بالناصرية، ثم درس بالمدرسة الأسدية، ثم انتقل إلى القدس مقيما فيها يدرس ويفتي ويحدث ويصنف، وتولى مشيخة دار الحديث بالقدس. من تصانيفه: مختصر جامع الأصول لأحاديث الرسول لابن الأثير الجزري، الأشباه والنظائر في فروع الفقه الشافعي، الدرر السنية في مولد خير البرية. توفي سنة (٧٦١هـ). انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٣/ ٩١).

قلت: وصار النبي ﷺ لما وضعته أمه في كفالة جده عبد المطلب.

قال الحافظ الذهبي: وتوفي أبوه عبد الله وللنبي ثمانية وعشرون شهرًا، وقيل أقل من ذلك، وقيل: وهو حمل. توفي بالمدينة، وكان قد قدمها ليمتار تمرًا، وقيل: بل مر بها راجعًا من الشام، وعاش خمسًا وعشرين سنة.

قال الواقدي: وذلك أثبت الأقاويل في سنه ووفاته.

وتوفيت أمه آمنة بالأبواء [1] وهي راجعة به ﷺ إلى مكة من زيارة أخوال أبيه بني عدي بن النجار، وهو يومئذ ابن ست سنين ومائة يوم، وقيل: ابن أربع سنين.

فلما ماتت أمه حملته أم أيمن مولاته إلى جده، فكان في كفالته إلى أن توفي جده، وللنبي ﷺ ثماني سنين فأوصى به إلى عمه أبي طالب. انتهى كلام الحافظ.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وعن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية، قال: لما تَغشَّاها آدمُ حملت، فأتاهما إبليسُ. فقال: إنى صاحبُكما الذى أخرجتكما من الجنة، لَتُطيعُننى أو لأجعلنَّ له قَرْنى أَيلٍ، فيخرج من بطنك فيشقّه. ولأفعلنَّ ولأفعلنَّ، يخوّفهما. سمّياه عبد الحارث. فأبيا أن يُطيعاه، فخرج ميتًا. ثم حملت، فأتاهما فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتًا. ثم حملت فأتاهما، فذكر لهما فأدركهما حُبُّ الولد، فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠] رواه ابنُ أبي حاتم).

ش: قد قدمنا نظيره عن ابن عباس في المعنى.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وله بسند صحيح عن قتادة قال: شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته. وله بسند صحيح، عن مجاهد في قوله: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ [الأعراف: ١٨٩] قال: أشفقا أن لا يكون إنسانا. وذكر معناه عن الحسن، وسعيد، وغيرهما).

ش: قال شيخنا رحمه الله: إن هذا الشرك في مجرد تسمية، لم تُقصد حقيقتها.

وهو محمل حسن يبين أن ما وقع من الأبوين، من تسميتهما ابنهما عبد الحارث إنما هو مجرد تسمية لم يقصدا تعبيده لغير الله وهذا معنى قول قتادة: شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته.

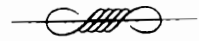

(١) هي: قرية من أعمال المدينة، بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلًا.